

Трудности перевода и локализации с древнерусского языка на материале книги «Достоверныя извѣстія о Альжирѣ» 1787

Difficulties of translation and localization from Old Russian based on the book "Reliable Information about Algeria" 1787

صعوبات الترجمة والتوطين من اللغة الروسية القديمة
كتاب "أخبار موثوقة عن الجزائر..." 1787 مثالا

Мохамед Рашид Милуд ¹ 
Университет Алжир 2
medrachid.miloud@univ-alger2.dz

Получено: 08/01/2025,

Принято : 03/04/2025,

Опубликовано : 19/10/2025

Аннотация: Данная статья посвящена изучению трудностей перевода и локализации знаний из древнерусского языка XVIII века, который радикально отличается от современного русского языка как в способе письма, так и в частичной семантике слов. Статья объясняет долгий путь моего перевода этой книги, написанной русским офицером, который описал все, что было наблюденно на месте в 1776-1777 годах. Эта работа считается первой задокументированной русской поездкой в Алжир, которую совершил генерал Матвей Григорьевич Коковцев за десять лет до публикации книги, которая была рассмотрена и одобрена известным тогда издателем Федором Томанским и напечатана Шнором Юганом Карлом в Санкт-Петербурге в 1787 году. Статья ограничена вышеупомянутой книгой, в основе которой лежит попытка исправить некоторые ошибки, которые может допустить переводчик, и способы их избежать, особенно когда речь идет о русском языке XVIII века и когда текст подчинен определенному временному и пространственному пространству. Исследование состоит из четырех разделов (ознакомление с автором, история книги; значение локализации книги; трудности перевода и способы их преодоления).

Ключевые слова: перевод, локализация знаний, древнерусский язык, достоверные известия об Алжире, Коковцов.

Abstract: This paper deals with the study of the difficulties of translation and localization of knowledge from the old Russian language of the 18th century, which differs from the modern Russian language radically in the manner of writing, and partly in the semantics of vocabulary. The article describes a long career in my translation of this book, which was written by a Russian officer who recounted everything that was seen on the spot in the years 1776-1777, which is the first documented Russian trip to Algeria, which was made by Brigadier General Matvey Grigorievich kokovtsov ten years before the publication of the book after its review and approval from the then famous publisher Fyodor tumansky and printed by Schnur Johann Karl in St. Petersburg in 1787. The article is limited to the above-mentioned book, where at its core we seek to correct some of the mistakes that the translator can make, and ways to avoid them, especially when it comes to the Russian language of the 18th century and when the text is subject to a specific temporal and spatial space. The article consists of four themes (introduction to the author, the story of the book; the importance of localization of the book; translation difficulties and ways to avoid them).

Keywords: translation, localization of knowledge, old Russian language, reliable news about Algeria, kokovtsov.

الملخص: يتناول هذا المقال دراسة صعوبات الترجمة وتوطين المعارف من اللغة الروسية القديمة الخاصة بالقرن 18 والتي تختلف عن اللغة الروسية الحديثة بشكل جذري في طريقة الكتابة، وفي دلالة المفردات بشكل جزئي. يشرح المقال مسيرة طويلة في ترجمتي لهذا الكتاب، الذي ألفه ضابط روسي روى كل ما شاهده في عين المكان في سنوات 1776-1777، والذي يعد أول رحلة روسية موثقة إلى الجزائر، والتي كان قد قام بها العميد ماتفي غريغوريفيتش كوكوفتسوف قبل عشر سنوات من صدور الكتاب بعد مراجعته واعتماده من الناشر الشهير آنذاك فيودور تومانسكي وطباعته من شنور يوغان كارل في سانت بطرسبرغ سنة 1787. ينحصر المقال على الكتاب المذكور أعلاه، حيث نسعى في صميمه إلى تقويم بعض الأخطاء التي يمكن أن يقع فيها المترجم، وسبل تلافيا خاصة حينما يتعلق الأمر باللغة الروسية الخاصة بالقرن 18 وحين خضوع النص لحيز زمني ومكاني محدد. يتكون المقال من أربعة محاور (التعريف بالمؤلف، قصة الكتاب: أهمية توطين الكتاب: صعوبات الترجمة وسبل تلافيا).

الكلمات المفتاحية: ترجمة، توطين المعارف، اللغة الروسية القديمة، أخبار موثوقة عن الجزائر، كوكوفتسوف.

* Auteur correspondant : medrachid.miloud@univ-alger2.dz

Langues & Cultures / © 2025 The Authors. Published by the University of Adrar, Algeria. This is an open access article under the CC BY license (<http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/>)

التعريف بالمؤلف:

وفقا لعدد من المصادر، ينحدر مؤلف هذا الكتاب ماتفي غريغوريفيتش كوكوفتسوف (6) من عائلة نبيلة قدمت لروسيا عديدا من كبار المسؤولين والعلماء. ولد هذا الكاتب عام 1745، وبعد تخرجه من سلاح مشاة البحرية، بدأ خدمته في بحر البلطيق في عام 1761 بصفته ضابطا للبحرية. وفي عام 1769 أبحر كوكوفتسوف، بعد أن أصبح ملازما بحريا، إلى البحر الأبيض المتوسط مع أحد أسراب أسطول البلطيق المرسل ضد الأتراك (1؛2؛5).

بعد نهاية حرب الروس مع الأتراك، والتي انتهت بانتصار الروس وتوقيع معاهدة كوجوك قينارجة¹ عام 1774، وضعت الدولة الروسية خططا واسعة لجمع المعلومات الاستخباراتية تحت غطاء "توسيع التجارة والملاحة" في حوض البحر الأبيض المتوسط، فقد بقيت قوات كبيرة من الأسطول الروسي هناك في الأرخبيل والبحار المجاورة له. وكان الوضع الدولي موافيا لذلك إذ تم تدمير أسطول الدولة العثمانية، وضعفت ما تسعى بالقرصنة² في شمال أفريقيا بشكل كبير، بعد أن كانت أحد أسس القوة البحرية العثمانية بتشكيلها لتهديد كبير للملاحين الأوروبيين (3).

غير أن "التوسع في التجارة والملاحة" كان يتطلب أيضا "معرفة جيدة بالفرص التجارية والموانئ والوضع الملاحي" قبالة سواحل تلك البلدان التي كانت "روسيا تعترم التجارة معها". فقد كان لدى البحارة الروس في ذلك الوقت معرفة كافية ببلدان جنوب أوروبا، خاصة مناطق شبه الجزيرة الإيطالية والبلقان والأرخبيل، غير أنهم لم يكونوا على دراية بشمال أفريقيا. لذلك، كان من الطبيعي جدا أن يتم تكليف القائد الملازم كوكوفتسوف، الذي عاد لتوه إلى كرنشترات³ من سرب البحر الأبيض المتوسط في عام 1775، بمهمة لمدة سنتين كان ظاهرها "زيارة إسبانيا والتعرف على حالة الأسطول الإسباني"، غير أنها انطوت في الحقيقة على إرساله إلى تونس والجزائر لجمع معلومات عن الوضعية السياسية والعسكرية في هذه الدول (2).

¹ قرية بلغارية حاليا تعرف باسم "قيناارجة"، أقيمت فيها معاهدة كانت ضربة قاصمة للدولة العثمانية التي خسرت سيادتها على البحر الأسود والمضائق، فقد قررت المعاهدة أن تكون الملاحة للسفن الروسية التجارية حرة ومفتوحة وغير مشروطة ويكون لها الحق في حرية المرور عبر المضائق بين البحر الأسود والبحر المتوسط.

² جهاد البحر، فضلنا الامتنال لسباق الكتاب بإدراج المصطلح الأوروبي، غير أن كل ما سيرد في هذا الكتاب هو توصيف الأوروبيين للجهاد البحري. يعتقد الأوروبيون بخلطهم للمفاهيم عمدا أن ما كان يقوم به المسلمون في ذلك الوقت هو قرصنة بحرية، غير أنه كان جهادا بحريا إسلاميا طبقا لتوصيف علي دقيق، فقد كان نتيجة طبيعية لسقوط الأندلس وما رافقها من حملات صليبية على البلدان الإسلامية في شمال أفريقيا.

³ إحدى مدن روسيا التابعة لسانت بطرسبرغ.

"لأسباب دبلوماسية"، لم يتمكن كوكوفتسوف من الذهاب إلى هناك على متن سفينة تحمل علم البحرية الروسية. لذلك، قام القائد الملازم بأول رحلة له إلى تونس والجزائر في مايو أيار - سبتمبر أيلول 1776 على متن سفينة تجارية إيطالية بوصفه "تاجرا" في البداية، ثم ببساطة "نبيلًا روسيًا مرتحلاً"، حين تم تقديمه إلى الباي التونسي. وفي العام التالي، اضطر كوكوفتسوف إلى العمل كمساعد قبطان على متن سفينة فرنسية للإبحار على متنها إلى الجزائر، لإكمال مهمته بصفته "فرنسيًا مولعًا بالآثار القديمة" (4).

في عام 1779، اضطر كوكوفتسوف إلى العودة إلى سانت بطرسبرغ، بعد أن أثار شكوك السلطات الجزائرية، لكنه أعاد الكرة وأبحر مرات أخرى إلى البحر الأبيض المتوسط بصفته قبطانًا لسفينة "القديس يانواريس" سنوات 1780-1784. تقاعد كوكوفتسوف من أسطول البلطيق برتبة عميد عام 1785. وبعد عامين من تقاعده، قام بنشر كتابه هذا، الذي استند إلى التقارير الرسمية الموسعة، التي كان قد أرسلها قبل عشر سنوات إلى رئيس مجلس الأميرالية آنذاك الكونت إ. غ. تشيرنيشيف. لقد كانت هذه التقارير، وفقا لعدد من المصادر، مقتضبة جدا وذات طبيعة ملاحية وبحرية عسكرية في المقام الأول.

تشير عديد من المصادر أن كوكوفتسوف أبقى على جميع المعلومات الأساسية الواردة في هذه التقارير دون تغيير من أجل إعداد يوميات رحلته للنشر، والتي قام باستكمالها وصقلها والارتكاز عليها في كتابه "أخبار موثوقة عن الجزائر...". غير أنه من الجدير بالذكر أن الإضافات التي قدمها المؤلف تجعل سبب نشره لمذكراته بعد الخروج إلى التقاعد وبعد مضي عشر سنوات من الرحلة واضحة جدا للعيان.

في عام 1787، قام فيودور أوسيبوفيتش تومانسكي، الذي كان عضوا مراسلا في الأكاديمية الروسية للعلوم، وناشرا ومترجما بارزا في روسيا آنذاك، بنشر أصل هذا الكتاب لمؤلفه العميد والقبطان البحري ماتفي غريغوريفيتش كوكوفتسوف والذي يصفه بالشاهد الواضح والكاتب الجدير بالثقة (1).

عدّ تومانسكي ملاحظات كوكوفتسوف حول تونس والجزائر ذات قيمة معرفية عالية وجديرة بالثناء، بعد أن قدم للنشر أيضا الأوصاف التفصيلية للجزر اليونانية والتي كان للقراء في روسيا في تلك السنوات شغف كبير بها.

تميزت يوميات كوكوفتسوف هذه بدقة الملاحظات وصفات نادرة جدا بالنسبة لمؤلفي ذلك الوقت، كالموضوعية إلى حد ما تجاه الشعوب الأخرى. فعند قراءة ملاحظاته، يتم لفت الانتباه على الفور إلى رغبته المؤكدة في فهم الظروف الحقيقية للحياة اليومية للسكان الأصليين في المناطق التي زارها، وموقفه النقدي الحاد تجاه تلك الآراء المسبقة حول هؤلاء السكان وقدراتهم، والتي كانت منتشرة على نطاق واسع بين الأوروبيين الذين كتبوا عن بلدان شمال أفريقيا في ذلك الوقت.

يلتزم كوكوفتسوف بالعداء الواضح والخفي للدولة العثمانية وهو ما يتجلى في إصراره على أن تخلف أشكال الحكم والأعراف لدى النخبة الحاكمة في الإمبراطورية العثمانية وممتلكاتها الأفريقية فقط هو ما يعطي أسبابا معينة لاتهم الشعب هناك بـ "الفضاظة والجهل"، وأن السكان الأصليين في هذا البلد هم الأقل مشاركة في تلك الأفعال التي تثير هذه الآراء (7). إذ تبين أن الجزائر، حسب رأيه، أكثر تحضرا من أوروبا المتقدمة، على الأقل في حقيقة أن التسامح الديني يسود فيها.

على الرغم من كونه "مراقبا رصينا"، إلا أنه احتفظ بآراء ناقدة تجاه الأوروبيين وهو ما يظهر جليا في تأكيده على أن ما تعرضت له أوروبا من تشديد خناق بحري، كان مدعوما من القوى الأوروبية نفسها، التي كانت تسعى بهذه الطريقة للتعامل مع منافسيها بأياد أخرى. وفقا لكوكوفتسوف، فإن ما يسميه بالقرصنة في شمال أفريقيا، التي أثرت بشدة على الملاحة التجارية للأوروبيين، لا تدين بازدهارها لـ "جشع النخبة الإنكشارية الجزائرية الحاكمة" فقط، بل وللتواطؤ المتعمد من الدول الأوروبية أيضا في ذلك الوقت (1).

من اللافت جدا أن كوكوفتسوف لم يخف "تعاطفه" مع سكان المناطق العميقة في هذا البلد، الذين تمكنوا من الدفاع عن استقلالهم النسبي عن الحكومة المركزية. لم يكن من الممكن أن تقابل مثل هذه الآراء بموقف لين من قيادة البحرية الروسية إذا تم

التعبير عنها من قبل ضابط في الخدمة الفعلية. خاصة وأن الوضع السياسي الداخلي في روسيا في النصف الثاني من ثمانينات القرن الثامن عشر لم يكن موافقاً بشكل كبير للتعبير الصريح عن طريقة التفكير هذه.

غير أنه لا ينبغي علينا، أن نتخيل كوكوفتسوف ديمقراطياً واعياً، يقوم بتحديث آرائه الاجتماعية والسياسية، فقد ظل وفيًا لشخصيته بصفته نبيلًا روسيًا، وضابطًا محترفًا في البحرية الإمبراطورية الروسية، واحتفظت آرائه ببصمة القيود الطبقية.

ومع ذلك، وعلى الرغم من كونه رجلًا ذا تعليم عال، وعلى ما يبدو على دراية كبيرة بالأدب العالمي (وهذا ملحوظ جدًا في مقاطع عديدة من كتابه (1)، فإن كوكوفتسوف، رغم اعتماده على بعض روايات التجار الأوروبيين، لم يتعد عن الشوفينية الروسية المعادية للأتراك والأفكار الإنسانية المتعلقة بأيدولوجية التنوير الأوروبي التي كانت منتشرة بين المثقفين النبلاء في روسيا في الربع الأخير من القرن الثامن عشر، فقد كان من الواضح تمامًا بالنسبة له أن الحامل الرئيس للشر والخبث في شمال أفريقيا هو "النخبة الإقطاعية العسكرية الطفيلية والفاسدة" التي قامت بنشر الجهل وتجسدت في الإنكشارية وذريتها. في عام 1793، توفي كوكوفتسوف قبل بلوغه سن الخمسين (5).

قصة الكتاب

قبل قرابة قرنين ونصف من الآن، تم إصدار الكتاب الذي امتلك عنوانًا طويلًا "Достоверныя извѣстія о Альжирѣ; о нравахъ и о доходахъ; о положеніи Варварійскихъ береговъ; о областныхъ состояніи правительства и обычаяхъ тамошняго народа; о произрастѣніяхъ и о прочемъ; съ вѣрнымъ чертежемъ" ، وقد تم اختصاره في الكتاب المترجم عنه لتفادي الإطناب عن طريق ذكر أول عبارة فيه وهي "أخبار موثوقة عن الجزائر"، لمؤلفه العميد والقبطان البحري ماتفي غريغوريفيتش كوكوفتسوف، والذي يمثل في مجمله انطباعات وآراء عن رؤية روسية للجزائر في القرن الـ 18، لا زالت صالحة للقراءة إلى الآن، على الرغم من احتوائه على شهادات، وسرد لأحداث ووقائع قد يعدها بعض القراء صادمة وغير قابلة للاحتمال.

إن يوميات رحلة كوكوفتسوف إلى الجزائر في عام 1777 وكتابه "أخبار موثوقة عن الجزائر؛ عن أعراف وعادات السكان المحليين؛ عن حالة الدولة وإيرادات المقاطعات؛ حول وضع سواحل البرابرة؛ وعن النباتات وغيرها من الأمور؛ مع خريطة صحيحة"، الذي تم كتابته استنادًا على هذه اليوميات، هي واحدة من الروايات الأولى لشاهد عيان في الأدب الروسي عن حالة الجزائر خلال هذه الفترة. وبذلك أصبح كوكوفتسوف أول روسي متخصص في شؤون أفريقيا وواحدًا من أوائل دارسي الشؤون العربية في روسيا (2). إذا فهمت الأمر على نحو صحيح، فإن هذا الكتاب ليس موجهاً للقارئ الذي يخاصم التاريخ، إذ ينتهي إلى صنف ما بين "الجغرافيا التاريخية"، التي لا يمكن فهم تسلسل الأحداث فيها دون فتح الخريطة، و"أدب الرحلة"، الذي ينطوي على عديد من التجارب والمشاهدات والتأملات، فيستوجب التوقف والقراءة المتعملة.

على الرغم من أن أسلوب الكتاب ينم عن كتابة مباشرة مجردة تفتقر للفصاحة والصنعة والعدوبة اللغوية، إلا أنه كتاب متاح وسهل سير وممتع بأسلوب عادي وبسيط دون عبارات ساحرة ومفردات فاخرة. ولا شك أن المؤلف أخذ وقتًا طويلًا في ترصد الأخبار ودراسة وفحص المعلومات الشاردة رغم فوضى آرائه، ويحسب له أن لخص وسهل وبسط هذا الكم الهائل منها في كتاب من القطع المتوسط (1).

لا يبدو المؤلف من خلال كتابه هذا مفكرًا أو رحالة بقدر ما يبدو بوضوح فيلسوفًا للمكان وكتابًا متواضعًا ومتخصصًا عسكريًا ضليعًا واثقًا ورجلًا ذكيًا حصيفًا، فقد صاغ من تقارير وروايات بائسة حكاية واضحة عمرها عشر سنوات كاملة قبل طباعة الكتاب، الذي يخيل لي أنه أشبه بسرديّة ذاتية، أعانته عليها ذاكرة قوية ومولعة بذكر التفاصيل في أدق صورها وأضالها، هذا الكتاب مرجع نادر، إنه من قبيل ما لم نحط به خبرًا.

يتميز هذا الكتاب بوضوح رأي المؤلف بافتخاره بالفارق الحضاري ونظراته الاستعمارية التهمكية التي كانت بادية في ثنايا كلامه وبوادر قلمه. لقد بقي طوال كتابته لهذا الكتاب تنويري الذهن في لغته وأسلوبه وتفكيره، غير أنه أظهر أن روحه لم تكن قد شفيت بعد من الغل الحضاري تجاه الدولة العثمانية رغم انتصار الروس عليها، من خلال هجومه الساخر واللادع والمتكرر على الإنكشاريين، الذين يعدهم في كتابه هذا حفنة من صناع الخراب بصفتهم خليطا بين زبانية جهنم وإنسان الغاب.

لا يمكن للقارئ أن يخطئ فيما يشي به انطواء الكاتب بصفته مراقبا على مشاعر غير ودودة، رغم اللغة الناعمة التي سعى من خلالها لترميم ضحالتة في الكتابة. يتراوح الكتاب بين آراء تنم عن غرور وتعنّت واستعلائية وآراء أخرى أكثر لطفا ورحمة. هذا وقد راق لي أن أستشف من الكتاب معضلة الصراع بين خشونة البادية وترف المدينة.

من الغريب أن الكاتب، رغم أنه خصص حيزا كبيرا للبحرية الجزائرية، إلا أنه لم يأت على ذكر قائد البحرية حسن باشا جزائري، الذي اشتهر في تلك الفترة بالذات بسيره رفيعة أسد، وهو ما كان حديث العامة، وبإجباره وأمريكا على دفع الجزية وجعله اللغة العربية لغة رسمية للاتفاقيات، وقد سممه الروس بالزرنخ في شومن، التي تقع اليوم في بلغاريا، بعد صدور أصل هذا الكتاب بثلاث سنوات.

أهمية توطين الكتاب

تتجلى أهمية الكتاب في كونه أول توثيق لرحلة روسية إلى الجزائر في التاريخ وفي احتوائه على كم كبير من المعلومات عن الجزائر في فترة تسيدها للبحار، وفي دراسته لجميع الجوانب السياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية والاثنية في الجزائر في ذلك الوقت، ناهيك عن ذكره لحقائق مثيرة للاهتمام مثل وصول البحارة الجزائريين إلى سانت بيير وميكلون وهو أرخبيل فرنسي في أمريكا الشمالية يقع في المحيط الأطلسي الشمالي، وإلى خليج تيرا نوفا (من اللغة اللاتينية "الأرض الجديدة") وهو خليج في القارة القطبية الجنوبية (أنتاركتيكا) يقع بين كيب واشنطن ولسان دريغالسكي الجليدي على طول ساحل أرض فكتوريا هناك.

من المفارقات اللغوية الجميلة في الكتاب هي ذكر سفينة "الشباك" فخر الصناعة الحربية الجزائرية إبان العهد العثماني بفضل شكلها المتناسق وسرعتها (ما جعل منها إحدى القطع الأساسية في تركيبة البحرية الجزائرية آنذاك)؛ وقد اقترضت اللغة الروسية كلمة "الشباك" للدلالة على هذه السفينة لتصبح "شبيكا" "Шебека". فضلا عن ذكر لفظة "الميزوموتي" (1، ص. 95) "نصف الموت" في إسقاط واضح على لقب الحاكم الجزائري الشهير "حسين ميزو مورتو" أو "حسين النصف ميت" والذي اشتهر بوضع القنصل الفرنسي في فوهة مدفع بابا مرزوق وقذفه في البحر، ردا على الحملة الفرنسية لاحتلال الجزائر سنة 1683، أما بخصوص لقبه فقد اكتسبه بعد عودته إلى الحياة مرتين من إصابات بالغة ومميتة، هذا وقد فعل الشيء نفسه مع لفظة "Римсия весталки"⁴.

صعوبات الترجمة وسبل تلافها

كان العمل على ترجمة أصل هذا الكتاب شاقا جدا، نتيجة العبء الثقيل المضاعف المتمثل في صعوبة اللغة الروسية الخاصة بالقرن الـ 18 والتي تختلف بشكل كبير في دلالة الكلمات وطريقة الكتابة عن تلك المعاصرة، وقد بذلت جهدا عظيما في البحث عن أسماء الأماكن والشخصيات والمسميات الوظيفية والجغرافية وأسماء العملات في سبيل إرجاع هذه المسميات إلى حالتها الأولى في اللغة العربية بعد أن نقلها المؤلف إلى اللغة الروسية بطريقة غير مفهومة، وغالب الظن أن ذلك تم بعد أن تم إخضاعها لقواعد النطق الروسي. واجهنا هذا المشكل في عديد من المواضع في الكتاب، خاصة في مقدمته التي احتوت على عديد من الأسماء:

هذه بعض الأمثلة التي تشرح الأمر:

طريقة الكتابة باللغة الروسية	المنطوق باللغة الروسية	الترجمة والأصل العربي
------------------------------	------------------------	-----------------------

⁴ عذارى فستال "sacerdos Vestalis"، هن كاهنات "المعبودة" فستا العذراء المكلفات بالحفاظ على بقاء النار المقدسة مشتعلة بحسب الأساطير الرومانية.

بلاد الجريد	بيليدجيري	Белидулжери
ليون الأفريقي ⁵	جيوفاني ليوني	Жиовани Леони
ابن عذاري ⁶	إيزيربروارد	Эзербруард
عبد الرزاق السمرقندي ⁷	أبدولراكفيك	Абдул-Алраквнк
ابن تغري ⁸	شرافارديني	Шраварденъе
الدواوير	أدوفاري	Адовары
توماس شاو ⁹	السيد شاف	Господин Шав
القصة	الكازابار	Алказабар
رايس	راي	Райе
الكاهية	كايا	Кайя
شيخ البلد	شيكيليريت	Шекелберет
المزوار	ميزوفارد	Мезовард
البيت مالحي ¹⁰	بيترميلحي	Пелтремелжи
وكلاء الخرج	فاكيلاردي	Вакеларды
مارمول ¹¹	مارمال	Мармаль

بالحديث عن المؤرخ الفرنسي مارمول، ونظرا لأن الكتاب عرضة لما يعتري البشر من خطأ، فقد أخطأ المؤلف حين عده إسبانيا، فقد اشتهر هذا المؤرخ الاسباني بتأليفه ونشره لكتاب "وصف عام لأفريقيا" (والذي يعتمد بشكل أساسي على عمل ليون الأفريقي) خاصة في الترجمة الفرنسية، وهو ما يفسر خطأ كوكوفتسوف، حين أشار إليه بتلك الصفة. وقد أخطأ المؤلف أيضا حين عد أن لقب الأمير منحدر من اللغة البونيقية وأنه يعني حاكم المؤمنين (1، ص. 28)، وحين رأى أن مفردة "الشريف" في اللغة العربية تعني الإمبراطور (1)،

⁵ (الحسن بن محمد الوزان الزياني الفاسي)، اشتهر بتأليفه الجغرافي في عصر النهضة، ومن أشهر مؤلفاته كتاب "وصف أفريقيا"، والذي ظل لمدة قرنين ونصف المصدر الرئيس للمعلومات عن المناطق الداخلية للقارة الأفريقية.

⁶ بحثنا مطولا عن هذا الكاتب "Эзербруард"، وقد خلص في النهاية إلى أنه ابن عذاري المراكشي (أبو العباس أحمد بن محمد بن عذاري) وهو مؤرخ أندلسي الأصل، لا يعرف تاريخ مولده كما اختلف في اسمه وتاريخ وفاته.

⁷ بحثنا مطولا عن هذا الكاتب "Абдул-Алраквнк"، وقد خلص إلى أنه عبد الرزاق السمرقندي (1413-1482) (كمال الدين عبد الرزاق بن إسحاق السمرقندي) وهو مؤرخ فارسي ورحالة جغرافي شهير، نُسب إلى سمرقند لإقامته الطويلة بها.

⁸ بحثنا مطولا عن هذا الكاتب "Шраварденъе"، وقد خلص بعد بحث طويل إلى أنه ابن تغري (1410-1470) (أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن الأمير سيف الدين تغري بردي أتابكي اليشيقاوي الظاهري) وهو واحد من كبار المؤرخين المصريين وكان والده من كبار أمراء المماليك.

⁹ رحالة ورجل دين انجليزي، نشر عام 1738 كتاب "رحلات في شمال أفريقيا وفي المشرق".

¹⁰ الناظر.

¹¹ لويس دل مارمول كرفاخال هو عسكري ومؤرخ إسباني.

ص. 42): هذا وحين أكد في الأصل المترجم عنه أن عبارة "сохрани меня Боже" (التي تعني في الترجمة الحرفية "احفظني يا الله") مرادف لـ "أستغفر الله" (1، ص. 55)؛ مما رسخ اعتقادا لدينا بأن كل ذلك نابع من سهو المؤلف أو من جهله باللغة العربية. من جانب آخر، تميز هذا الكتاب باستعمال المؤلف للتواريخ وفقا للتقويمين اليولياني والغريغوري في الأصل المترجم عنه، وقد فضلنا استعمال التقويم الغريغوري الأكثر دقة في الترجمة (الفارق بين التقويمين 13 يوما، يتأخر بها التقويم اليولياني عن الغريغوري "التقويم الميلادي الساري حاليا").

اختلط الأمر على المؤلف في كثير من المواضع في الكتاب، فقد اعتبر أن "إيول القيصريّة¹²" هي مدينة الجزائر (1، ص. 73)؛ وعد أن شهر رمضان صيام "تركي" يأتي "مرتين في السنة الميلادية" وأن لقب "الحاج" لقب يختص به "الأتراك" دون غيرهم، وهو ما جعلنا في حاجة إلى إيضاح الأمر في الهوامش لاعتبارات أيديولوجية وموضوعية، ومراجعة مواعيد حلول شهر رمضان في سنوات وجود المؤلف في تونس والجزائر (1776-1779)، وقد تم التأكد أن شهر رمضان لم يأت مرتين في تلك السنوات الميلادية، وقد افترضنا أن المؤلف لم يكن ملما بالفرائض الإسلامية ولم يبحث جيدا في هذا الأمر.

من الغريب أن المؤلف قد ذكر في عنوان كتابه الطويل إلى حد ما بالنسبة إلى وقتنا الحالي عبارة "...وعن النباتات"، غير أنه لم يتطرق إليها في الكتاب إلا في موضع واحد حين ذكر نبتة "الليلك الشائع" (Syringa vulgaris) وهي نبتة عُشبية معمرة تنتمي إلى الفصيلة الزيتونية (1، ص. 40). ومن غير المفهوم أيضا استعمال المؤلف للفظلة "Гозы" التي تعني الأغيار (أو الغويم وهو مصطلح ديني يهودي يطلقه اليهود على غير اليهود، وهو المقابل العربي للكلمة العبرية "غويم"، وهي صيغة الجمع للكلمة العبرية "غوي" (وهي بدورها صيغة الجمع في اللغة الروسية بتفخيم الواو) التي تعني "شعب" أو "قوم") للدلالة على معتنقي الشرائع الأخرى من غير المسيحيين.

لتحري الدقة كان لزاما علينا البحث والتدقيق في بعض المفردات التي وردت في الأصل المترجم عنه، على سبيل المثال الكلمة الروسية المشتقة من اللغة العربية "Адовары" وهي جمع كلمة "دوّار" أي "دواوير"، وهي المستوطنات الزراعية القارة في بلدان شمال أفريقيا، ونظرا لاستعمالها بمعناها في اللغة الروسية أي في سياق الترحال، فقد فضلنا للدقة استعمال عبارة "الخيام المرتحلة" (1، ص. 39).

في حديث المؤلف عن طريقة عيش نسوة البدو وردت في الأصل المترجم عنه كلمة "откровенно" مما يعني في سياق الحديث "بطريقة واضحة" وهي عبارة ضبابية المعنى، غير أن غالب الظن أن ذلك يعني أنهم كن كاشفات لوجوهن، وهي الملاحظة التي كان يجب إضافتها في الهوامش (1، ص. 39)، في نفس السياق وفي سرد المؤلف لطريقة عيش النساء التركيات في موضع آخر من الكتاب الأصلي وردت كلمة "скрытно" مما يعني في سياق الحديث "في الخفاء"، غير أن غالب الظن أن ذلك يعني أنهم كن غير كاشفات لوجوهن (1، ص. 50).

خاتمة:

لقد سعينا من خلال هذا المقال إلى مشاطرة الخبرة والتجربة في ترجمة الكتاب المذكور أعلاه من خلال اظهار المفردات الخاصة باللغة الروسية التي تميز بها القرن 18، والذي أصدرنا ترجمته الأصلية والكاملة العام الماضي باستعمال البرمجيات الحرة مفتوحة المصدر حصرا. يقودنا هذا البحث إلى تأكيد أمر هام وهو أنه ينبغي على المترجم التعامل بدقة وحذر شديد مع النصوص الروسية القديمة التي تخضع لحيز زمني ومكاني محدد، فمن أجل أن يفهم المترجم بكل معاني اللغة الأصل ومقاصدها يجب عليه ألا يبقى حبيسا لقيود التخصص وأسرره رغم الصعاب والتحديات، ورغم أن ذلك سيأخذ وقتا وجهدا وتعبا وكفاحا، وقد يكلف المترجم انتاجه الغزير

¹² مرسال.

خلافا للكتب الحديثة التي تتسم بالنمطية والبساطة والتكرار، وهي ما قد تبدو للمتروجم كقوالب مألوفة ومريحة... لكن هذا ما يتطلبه توطئ المعارف باعتباره الخطوة المنطقية التالية في اللحاق بركب الدول الرائدة.

المراجع

1. أخبار موثوقة عن الجزائر... أول رحلة روسية موثقة إلى الجزائر، تأليف: العميد ماتفي غريغوريفيتش كوكوفتسوف، ترجمة د. محمد رشيد ميلود، دار الوعي للنشر والتوزيع 2024، 125 ص.
2. Косвен М. О. Первый рус. африканист М. Г. Коковцев // Сов. востоковедение. 1956. № 2.
3. Светлов А. Б. Позабывтое имя (М. Г. Коковцев) // Вопр. истории. 1967. № 1.
4. Достоверныя известия о Альжире о нравах и обычаях тамошняго народа; о состоянии правительства и областных доходов; о положении Варварийских берегов; о произрастениях и о прочем; с верным чертежем. / Коковцов Матвей Григорьевич; Шнор, Иоганн Карл, Туманский, Федор Осипович. — В Санктпетербурге: Печатано с дозволения указнаго у Шнора, 1787. — 144 с.
5. Крачковский И. Ю. Очерки по истории рус. арабистики. М.; Л., 1950.
6. Общий морской список. СПб., 1890. Ч. 4.
7. Basmeister H. L. C. Russische Bibliothek. Riga; Leipzig. Bd. XI. S. 143—150.

السيرة الذاتية للمؤلف

د. محمد رشيد ميلود

أستاذ التعليم العالي بجامعة الجزائر 2

خبير لدى وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

عضو دائم باللجنة الوطنية للشهادات والمعادلات

ALTRALANG (صنف ب) محرر تنفيذي بمجلة

عضو لجنة القراءة للمجلة العلمية بجامعة فارونج الحكومية التقنية بروسيا الاتحادية

عضو المجلس العلمي لكلية اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية جامعة الجزائر